كتاب

ميلياغروس بن يوكراتيس قصائد حبّ كان يكتبها شاعر سورية زمن الإغريق

سهامٌ استقرّت في أرض جدارا

يضيء الباحث محمد علي الصويركي في كتابه الذي صدر حديثاً عن وزارة الثقافة الأردنية كتابات احد ابرز شعراء الحضارة الهلنستية، الذي تعود اصوله إلى مدينة جدارا الواقعة شمالي الأردن، والذي كتب قصائد حسّية عبّرت عن حياته البوهيمية ومذهبه الابيقوري

محمود منير

في القرن الثاني قبل الميلاد، ظهرت أولى قصائد الحب في الحضارة اليونانية، حيث تعامل أصحابها مع رغبات الجسد بذكاء يعتمد الاستعارة والحلم والرمز، وكانت موجهة إلى قارئ لن يدركها إلّا إذا خاض التجربة ذاتها بأوجاعها ولذّاتها، التي تركت تأثيرها البالغ لدى عدد من شعراء الإمبراطورية الرومانية من خلال تحويلها إلى كتابات إيروتيكية صريحة، ولدى كتّاب مسرح نظروا إليها من زاوية التهكّم والسخرية.

ميلياغروس بن يوكراتيس كان أحد أبرز هؤلاء الشعراء الذين تنبّهوا باكراً إلى وصف علاقاته الغرامية التي عاشها في مدينة صور، ووثّقها في نصوص سمّيت «الأنبغراما» (وتعني شواهد القبور في الإغريقية) لا يتجاوز طولها الأربعة عشر بيتاً، ولم يجد حرجاً في تناول حياة اللهو والسهر بصراحة لا مثيل لها في عصره، لكنها تضيء في الوقت نفسه رحلاته بين مدن شرق المتوسط التي كتب أنه ينتمي إليها جميعاً، وأنه ابن العالم الذي كان محصوراً بتلك الجغرافيا وفق ذاك الزمن.

يطرح هذا الانتماء وتعريف الشاعر لنفسه تساؤلاً مُهماً عن الثقافة الهلنستية التي راها نتاج مؤثرات آرامية وفينيقية (كنعانية) ويونانية (تركيا واليونان حالياً)، لا صلة لها بأوروبا وادّعاء الانتساب الحضاري إليها، وتتجلّى المفارقة باحتشاد المكتبة الغربية بشروحات وترجمات لميلياغروس وغيره من الشعراء الهيلينستيين، مقابل مصادر شحيحة بالعربية عنهم، كما يلفت أستاذ التاريخ والباحث الأردني محمد علي الصويركي.

ويشير الصويركي في كتابه «الشاعر ميلياغروس بن يوكراتيس - أمير شعراء سورية في العصر الهيلينستي اليوناني - ابن مدينة جدارا – أم قيس» الذي صدر حديثاً عن وزارة الثقافة الأردنية و«دار ركاز»، إلى عدم وجود ترجمة مباشرة لشعر ابن يوكراتيس عن اللغة اليونانية، حيث يُقرأ عبر وسيط إنكليزي وفرنسي فقط.

ويقدّم المؤلّف في تقديمه إضاءة على الحضارة الهيلينية التي قامت في رودوس وكيوس وكريت وغيرها من جزر أرخبيل اليونان حتى عام 344 قبل الميلاد، حين أسس الإسكندر المقدوني دولة هيلينستية في الساحل السوري والمصري، وحكمت من قبل أبنائها، في تمازج لغوي وثقافي وديموغرافي أيضاً.

يصنّف ميلياغروس ضمن المدرسة السورية التي ضمّت شعراء تلقوا معارفهم في «جدارا» (أم قيس حالياً)، وتقع شمالي الأردن) التي تأسست فيها جامعة احتضنت علماء المدن السورية الداخلية، وكانوا متأثرين بفلسفة مدرسة الإسكندرية، بشكل أساسي، بحسب الكتاب، الذي يستعرض أبرز شخصيات جدارا، ومنها الشاعر فيلوديموس والفلاسفة ويونومارس وثيودروس الجداري ومينيبوس، حيث أسّس الأخير مدرسة فلسفية حملت اسمه.

قامت المينيبية على فكرة المساواة بين البشر ومحبّة الآخر وتقديس العلم في جملة محاورات شعرية ونثرية اتخذت طابعاً هزلياً، اجتذبت ميلياغروس في صباه، لكن عائلته المختلطة كان لها في تشكيل شخصيته، وهو المولود لأب يوناني استوطن جدارا، وأمّ سورية، كما تورد المصادر التاريخية، وتوضّحها نصوصه كتابه الأول «ربّات البهاء أو الجمال».

في العشرين من عمرها، سيغادر بن يوكراتيس مسقط رأسه متوجهاً إلى صور، رغبة منه في الاطلاع على فلسفات المشّائين والرواقيين، وهناك وضع بعضاً من مؤلّفاته الفلسفية، وكتب الأبيغراما التي ضاع منها الكثير وبقي منها حوالى مئة وثلاثين قصيدة تتناول جدالاته مع إله الحب (إيروس)، وتفضل علاقاته مع عدد من النساء، وكذلك اقتناته بالغلمان جرياً على سلوك لم يكن مستهجناً خلال تلك الفترة.

كانت جزيرة كوس المحطّة الثالثة في حياته، استناداً إلى قصائد تكشف عن عشر نساء تعرّف إليهن في الجزيرة، إلا أن ثلاثاً كنّ الأقرب إلى قلبه: هيلودورا التي رحلت في مقتبل العمر، وزينوفيلا التي لم يحتمل كثرة عشّاقها، وديمو التي خانته مراراً وتكراراً، قرّر أن يخلّد قصص الحب في كتاباته ويرحل عن الدنيا في الثمانين عازباً من دون زواج.

تمثال نصفي للشاعر ميلياغروس بن يوكراتيس

> لم تُترجم نصوصه من اليونانية القديمة بل عبر لغات وسيطة

> بحث في شعره عن اللذّة المطلقة كما تهكّم من الوجود

وتبرز تلك القصائد إخلاصه للشعر الذي جعله لا يلتفت إلى الأحداث السياسية في عصره، غارقاً في حياة بوهيمية، تصوّرها أشعاره التي خلت من مديح الأثرياء والوجهاء، ما يدفع إلى الاعتقاد بأنه كان على درجة عالية من الغنى، كما يفسّر الصويركي، وهي تنسجم مع معتقداته الفلسفية الأبيقورية في بحثه عن اللذة المطلقة، وتهكّمه على الوجود.

بالقرب من قبره، سجّل ميلياغروس على شاهدٍ نصاً يقول فيه: «خفّف الوطء، أيها الصديق، إذ يرقد بين الموتى الطاهرين، شيخ غمره النوم الأبديّ الذي هو مال البشريّة، ميلياغروس بن يوكراتيس، الذي أوقد الصلّات بين 'إيروس' و'ربّات الملاحة والفتنة'، لقد بلغ مبلغ الرجال في صور ربيبة السماء، وأرض جدارا الطيبة، واحتضنته في شيخوخته كوس الحبيبة، مهد الميروبين (نسبة إلى ميروبس عاهل كوس الذي تسمّى أهل الجزيرة باسمه)، إن كنت أيها الصديق سورياً، أحييك تحيّة سورية، وإن كنتَ فينيقياً، أحييك تحيّة فينيقية، وإن كنتَ يونانياً أحييك تحيّة يونانية، حيّني بمثل ما أحيّيك به».

على ما تحويه هذه القصائد من أفكار تنبئ بشخصية الشاعر ومواقفه الصارخة تجاه الحب والوجود، ما شكّل صورة أوضح حول سيرته التي أعدّها المؤلّف، إلا أنها تتطلّب ترجمة أدقّ وتراكيب أجود قد تتحقّق إذا نُقلت عن اليونانية القديمة، حيث نقرأ في نص آخر «فلا أقسم بغدائر 'تيمو'، ولا بخدّ 'هيليودورا'، ولا بحذر 'ديماريون' الذي لا يزال يقطر عطراً، ولا أقسم بالابتسامة الرقيقة التي لا تفارق شفتيّ 'أنتيكليه' ذات العينين النجلاوين، ولا بإكليل الزهور الندية التي يتحلّى بها جبين 'دوروثية'. نعم إنني لا أقسم يا إيروس أنّ جعبتك لم تعد تحوي شيئاً من سهامك المارقة، فقد استقرّت كلها في صدري».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إكليل الشعر

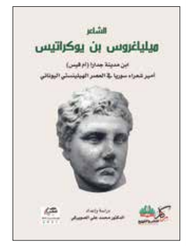

يشير محمد علي الصويركي في كتابه الى ان ميلياغروس ألّف مختارات شعرية في اواخر حياته سماها «الاكليل»، وضع فيها قصيدة لثمانية واربعين شاعراً سبقوه او عاصروه، شبّه كلّاً منهم بزهرة معروفة، حيث كتب فيها: «هل علينا ان ننتظر/ ظهور ذلك المصباح/ الذي يامرنا بالخلود الى النوم؟/ فلنشرب الكاس ايها العشاق/ فذلك الوقت ليس بعيدا/ وسنكون حزانى وقُمحطيين/ عندما يجب علينا/ الاستسلام لذلك النوم الابدي».

إطلالة

آلة لابتكار قيم جديدة

أخلاقيات الترجمة

لعلّ أوْضَح قيمة إيتيقيّة تُعلن عنها الترجمة حالياً وتُصرِّفها هي قيمة الوَساطة، التي لازمتْها منذ القدم، لفعاليّتها في التقريب بين الثقافات

مزوار الإدريسي

يسود اعتقاد راسخ لدى منظّري الترجمة مفاده أن القولة الشهيرة «الترجمة خيانة»، المعزُوّة إلى جُواشيم دي بلّاي -والتي تلوكها الألسن لازمة دالّة على الارتياب في الترجمة، وعلى اتهام ممارسيها بالخيانة- قد صدرتْ عن التفكير الغربي وحدَه، لأن نشاط حركة الترجمة لديّه كان أكْثَف، ولأن فكر التنظير لها قد واكبَها بصفة متواصلة.

ويَغيب عن هؤلاء كون الفكر الترجمي للجاحظ المُضمَّن بين دفّتيْ «كتاب الحيوان»، قد تضمّن إشارات واضحة إلى مشكلة الأمانة في الترجمة بالتلميح والتصريح كقوله: «إن الترجمان لا يؤدّي أبدًا ما قال الحكيمُ، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيّات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقَها ويؤدّي الأمانة فيها، والإخبار عنها على حقّها وصدقها».

ولا يهمنا هنا النظر إلى الترجمة من وجهة الأمانة وحدَها، لأن ما يترتّب على ذلك هو السقوط في تصوُّر مُبتَذل لقضية أخلاقيتها، لاقتصار هذا النظر على حصر هذه الأخلاقيات في سلوك مُعيّن في التعامل مع النص والعميل والمؤسّسات الذي لا تَغيب عنه الأوامر والنواهي، ولكونه يظلّ حبيسَ التصوُّر التقليدي للأخلاقيات بصفتها مسؤولية اجتماعية، ولعلّ الكُتيّبات المعروفة بـ«مدوّنة أخلاق المترجمين الأدبيين» التي تُصدرها جمعياتهم ومؤسّساتهم، على سبيل المثال، خيْرُ صورة لذلك.

لنُذكّر بأن قضايا الترجمة هي بالضرورة من قضايا الأدب نفسه، بحسب أورتيغا إي غاسيت، بمعنى أن كلّ تفكير في الترجمة يفترض فينا أن نتقبّله بصفته تفكيراً في الأدب، بل إن ما يصدق على الأدب يطاول الترجمة بالضرورة، وهو ما أكد عليه المفكّر الفرنسي هنري ميشونيك، بقوله: «لا يُمكن لأخلاقيات ترجمة عمل أدبي إذن أن تكون غير أخلاقيات الأدب نفسها»، نظراً لاشتراك الاثنيْن في اللغة؛ إنهما يتميّزان عن باقي الفنون بكونهما يبنيان معا عوالمهما وخطابهما باللغة، والمُسلّم به، بحسب جورج شتاينر، هو أنّ «كلّ اللغات المقسّمة ستعود إلى نبع حياتها المشترك. وفي أثناء ذلك، تكون الترجمة هي مستودع المسؤوليات الفلسفية والأخلاقية والسحرية الهائلة». «وكلّ هذه المسؤوليات مجالات لتجلي الأخلاقيات.

لقد أفرد ميشونيك لموضوعنا هذا كتاباً، انتصر فيه لهذا الطّرح الفريد، ونصّ فيه على أنّ «الترجمة ضرورية للتفكير في اللغة، والأخلاقيات، والسياسة» لأنّ من مزاياها تعريفنا إلى المُختلِف، واقتراحه على فضائها الثقافي.

ويُجانب الصواب من يعتقد أنّ الترجمة عملية ميكانيكية خالصة، وأن همّها النقل أو التحويل من لغة إلى أخرى، ويُغفل عن أنها تُحدث أثراً في متلقّيها، على غرار ما يُفترض أن يكونّ قد أحدث نصُّها الأصلي من أثر في متلقيه، أو هكذا هو طموحها على الأقل، وأنّ لذلك الأثر انفعالاتٍ وقيَما تنتظمُها أذواقٌ وأخلاق وعقائد. هكذا تكون للترجمة مثلما للأدب أخلاقياتُها المؤثّرة في «ما يفعله المرء مع ذاتِه ومع الآخرين، إنها إنجاز أعمال وابتكار قيمة» وفق ميشونيك، ويكون التأخر في صدور ترجمة بعض الأعمال في بعض المجتمعات أو غيابها عنها مؤشّراً إلى الأخلاقيات الرائجة والسياسة السائدة.

هكذا تبتكر الترجمة قيَماً غير متداولة، وتقترحُها بصفتها أخلاقيات جديدة؛ فقيمة الخيانة تُقلبُ إيتيقياً لتُفيدَ فعلاً محموداً، فتصير إيجابية لكونها ترفع الصمتَ عن العمل المترجَم في ثقافته الأصلية (ألف ليلة وليلة أو الخبز الحافي، إلخ)، لتُسمع صوتَه في غير لغته، وبذلك يكون المترجمُ وهو المؤلّف الثاني للعمل، بإعادته صياغة ذلك العمل في غير ثقافته الأصلية شريكاً لمؤلّفه في ما يرد ضمنه من قيَم تتوزّع بين تنديد بتشغيل الأطفال، واضطهاد النساء، والمجاعة، والفساد، والاستبداد، والعنصرية، والتغيّر المناخي، والتلوث، والاتجار في البشر، إلخ. ويُستدلّ على هذا التشارك بين الاثنيْن بمحَن المترجمين مع السلطتيْن السياسية والدينية اللتين اغتالتا واضطهدتا كثيراً منهم تاريخياً. ولعلّ أوْضَح قيمة إيتيقية تُعلن عنها الترجمة حالياً وتُصرِّفها هي قيمة الوَساطة، التي لازمتْها منذ القدم، لفعاليّتها في التقريب بين الثقافات، ولتمكينها من التعارف والتحاور والتفاهم حفاظاً على الحياة والسِّلم والأمن.

> اخلاقيات الترجمة هي في النهاية نُفس أخلاق الكتابة الادبية

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من سلسلة بعنوان «كوبونات» لـ محمود عبيدي (العراق)، 1994

معرض

ساندرو بوتيتشيلي عصر النهضة المبكّر لا يمكن اختزاله في لوحتين

لوحات تُخفي فتنتها لقرون

منذ العاشر من الشهر الجاري، يقام معرض باريسي يحتفي بتجربة الفنان الإيطالي كإعادة الاعتبار له بعد أن سرق الأضواء منه مجايلوه في «عصر النهضة»

باريس ـ العربي الجديد

يُفضل موهبته، عاش الفنان الإيطالي ساندرو بوتيتشيلي (1445 - 1510) ردهات حياته مبجّلاً. بمعنى ما، وبعبارات حديثة، يمكن القول إنه عاش نجماً في سماء «عصر النهضة»، لكنه لم يكن يدري بأن حظّه في تاريخ الفن سيكون أقل بكثير من حظّه في حياته، ذلك أن لمعان اسمه قد تقلّص بالتدريج مقابل صعود نجم معاصريه الأصغر منه سناً ليوناردو دافنشي ومايكل أنجلو بالتدريج، وصار «عصر النهضة» يختزل فيهما، بينما ذهب بوتيتشيلي وآخرون مثل فيروكيو ودوناتيلو إلى الظل رغم أهمية هؤلاء في تاريخ الفن. منذ عقود، بات الباحثون يفضّلون تقسيم عصر النهضة إلى مراحل، ومنها مرحلة «عصر النهضة المبكّر»، وهو تعبير يخدم بوتيتشيلي كثيراً ففي ذلك الزمن الذي لم تظهر فيه عبقرية دافنشي ومايكل أنجلو بعد، حظي الفنان الإيطالي بكثير من الاحتفاء والاعتراف، وكانت المشاريع الكبرى للأسر الحاكمة تعهد إليه، إضافة إلى تلبية الطموحات المعمارية والتزويقية للبابوات في روما، وقد لا يعرف الكثيرون أن جزءًا كبيراً من الأعمال التي تظهر في الفاتيكان كان من تصميم بوتيتشيلي في حين تُحسب في مجملها إلى مايكل أنجلو الذي يعدّ مستكملاً لمشاريع وتخطيطات كان قد وضعها بوتيتشيلي.

منذ العاشر من الشهر الجاري، يقام معرض في «متحف جاكمار أندريه» في باريس يحتفي بتجربة الفنان الإيطالي وكأنما يأتي هذا المعرض لإعادة الاعتبار له، حيث تصاحبه مادة توثيقية تبرز قيمة فن صاحب لوحة «الربيع» من خلال إضاءة سياقات عصر النهضة المبكّر ومن ثمّ نفهم ما الإضافات التي قدّمها الفنان الإيطالي للرسم، تقنياً وجمالياً. يُحسب لبوتيتشيلي عنايته الشديدة بتفاصيل الوجه وأيضاً بعناصر المشهد الخلفي للوحات، ومن الجدير الإشارة إلى أن بعض لوحاته قد أعيدت دراستها في سنوات قريبة بالتكنولوجيات الحديثة وتبيّن أن بعض الخلفيات التي كانت تبدو مجرّد عناصر جمالية تكميلية حملت تفاصيل دقيقة يصعب رسمها بأدوات القرن الخامس عشر. أيضاً، يرسم المعرض الذي سيتواصل إلى الأيام الأولى من العام المقبل سيرة بوتيتشيلي بين فلورنسا وروما بالخصوص، وهما عاصمتا الفن في زمنه وللقرون لاحقة، وبالتالي فإن سيرته تبدو ملخّصاً لتاريخ الفن في الفترة التي عاشها، وقد وضعت كل لوحة من لوحات المعرض ضمن سياقاتها الزمنية لتبيّن تطوّر الفنان الإيطالي إبداعياً.

يضمّ المعرض أربعين لوحة جرى تجميعها من متاحف فرنسية وإيطالية، إضافة إلى بعض اللوحات التي استعيرت من مجموعات خاصة، ولعل أهم ما يودّ أن يؤكّد عليه المعرض هو أنه لا ينبغي اختزال بوتيتشيلي في لوحتين شهيرتين: «مولد فينوس» و«الربيع»، تماماً كما أنه لا ينبغي اختزال مجمل عصر النهضة في فنانين لا غير، وأكثر من ذلك يؤكّد المعرض أنه داخل الأربعين لوحة يمكن أن نستخرج عدداً أكبر من الأعمال الفنية بفضل عناية بوتيتشيلي بالتفاصيل.

> بفضل دقّته، تُدرس تفصيلات من لوحاته كأعمال فنية مستقلة بذاتها

تفصيل من لوحة «الربيع» لـ بوتيتشيلي

فعاليات

يُعرض عند السادسة من مساء الثلاثاء المقبل، 21 أيلول / سبتمبر الجاري، في «دار النمر للفن والثقافة» ببيروت فيلم **المغني** (2010) للمخرج السينمائي العراقي **قاسم حول** (1940/ الصورة). يتناول العمل قصة ديكتاتور يعاقب مغنياً تأخّر لظروف قاهرة عن حضور حفل عيد ميلاد الديكتاتور في قصره الباذخ.

الساحل الفلسطيني في المخيال: جدلية الروائي والتاريخي عنوان الندوة التي ينظّمها «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت عند الرابعة من مساء الاربعاء المقبل، بمشاركة **إبراهيم نصر الله**، و**انطوان شلحت**، و**عادل مناع**، و**محمود يزبك**. تركز الندوة على بناء الوعي وتشكيل المخيال الفلسطيني تاريخياً وجغرافياً وثقافياً حول الساحل الفلسطيني منذ فترة ظاهر العمر وصولاً إلى النّكبة.

تتواصل في «غاليري نبض» بعمّان اربعة معارض فوتوغرافية هي: **الحرم الشريف** و**170 دونم - غزّة** و**فلسطين يوميا** و**قشابية فلسطين** للفنانين **بشار طباع**، و**محمد اسعد** و**محمد بدرانة** (الصورة) و**سالم بوشكور** حتى نهاية الشهر الجاري ضمن الدورة التاسعة من «مهرجان الصورة» التي انطلقت بعنوان «فلسطين».

تُعرض عند الثامنة من مساء اليوم الاربعاء على خشبة «مسرح الهناجر» في القاهرة مسرحية الدمى **على بابا والاربعين حرامي** للمخرج **حسن الشريف**. يستند العرض الذي يكتب اشعاره **محمد الزناتي** ويلحّنها **محمد رؤوف** الى القصة المعروفة في التراث العربي القديم التي اقتبستها اعمال سينمائية ومسرحية كثيرة.